العرب
الإثنين 2020/06/15
السنة 43 العدد 11732

تراجيديا «الأيام الأخيرة للجريمة في أميركا»

صورة لحلم الأميركان وهو ينتقل إلى فوضى عارمة

من المصادفات الطريفة أن تقدّم نتفليكس فيلم العنف والجريمة "الأيام الأخيرة للجريمة في أميركا" لجمهورها الواسع في هذا الوقت بالذات الذي تعيش فيه أميركا مخاضا اجتماعيا وسياسيا خطيرا، ولربما يكون ذلك سببا كافيا للاهتمام الواسع الذي حظي به الفيلم في أوساط النقاد وفي الصحف والمجلات الأميركية وغير الأميركية.

طاهر علوان
كاتب عراقي

ليس أكثر من أسبوع، وتهيج أميركا وتموج وتعجّ بالجريمة وتعمّ الفوضى ثم يعمّ الشلل التام ويعجز المجرمون عن ارتكاب جرائمهم، ويتم وصول السلطات إلى المسروقات الضخمة التي يراد الهرب بها إلى الخارج. هي خلاصة فيلم "الأيام الأخيرة للجريمة في أميركا" للمخرج أوليفيه ميغاتون الذي تعرضه حاليا نتفليكس، والذي تزامن مع الاحتجاجات الأخيرة للشارع الأميركي.

لكن الغريب في الأمر ورغم أن الفيلم لا يخرج عن نمطية أفلام العنف والجريمة الأميركية ولا هو أقل منها موضوعا ومعالجة، إلاّ أنه قوبل بانتقادات شديدة مبنية كلها تقريبا على أساس التقييم السلبي للفيلم في الموقع الشهير روتن توماتو.

وفي الفيلم نشاهد الكثير ممّا يمكن أن نتوقّعه من أفلام المافيا والجريمة والمخدرات والسرقة والجنس في خليط يقدّم صورة واقع أميركي هشّ للغاية، ولا حصانة ولا أمان فيه لأحد. لكنه في كل ذلك ينعطف انعطافة حادة لينتمي إلى أفلام الخيال العلمي – المستقبلي وعلى أساس صورة أميركا في العام 2025.

يعوم بريك (الممثل إدغار راميريز) في عالم تعمّه الفوضى وتسود فيه الهشاشة، إذ القتل والسطو من أسهل ما يكون، وهو ينجح في إيجاد موازنة ما تجعله ذا سطوة ولا تنافسه في سطوته إلاّ عصابة "دومو" الإجرامية.

هو يعلم أن شقيقه هو نقطة ضعفه الذي ينفذ من خلاله منافسوه، ولهذا تتم تصفيته في السجن، وهو التحوّل الذي سوف يجعل منه ليس منافسا لخصومه بل منافسا ومنتقما.

وفي موازاة ذلك، يبرز خط سردي آخر يمثله كيفن (الممثل ميكائيل بيت) وصديقته شيلبي (الممثلة آنا بريويستر)، فهما يدخلان على خط حياته لغرض أن يشاركاه مهمة الانتقام لشقيقه في مقابل الحصول على جزء من ملايين الدولارات التي ينوي بريك تهريبها إلى كندا قبيل أو أثناء الحظر الكلي.

وتقوم الفرضية التي تحشد لها وسائل الإعلام كل طاقاتها وتتزاحم البرامج الحوارية على الشاشات من أجلها على قيام الحكومة الأميركية بتعطيل أو شل قدرات الجميع في ساعة صفر محددة، بتوجيه شعاع وصوت ما يضرب الدماغ وبالتالي يتم شل الجريمة والإجهاز على المجرمين بعدما تحوّلت أميركا إلى ساحة إجرام عارمة.

وفي وسط تلك الفوضى، يجد بريك نفسه عاشقا ومنجذبا إلى شيلبي ويصبح هدفهما المشترك هو كيفية تهريب المال والهروب به باتجاه كندا، حيث تكون هي البديل الذي يحلم به الأميركان وهم في أزمتهم.

مشهد الحدود مع كندا يبدو منذ بداية الفيلم مثل ثكنة عسكرية، لا يسمح الجانب الأميركي لأحد بالاقتراب منها، ولهذا يتم إطلاق الرصاص على أي أحد يصل إلى هناك في مشاهد دموية متواصلة.

ينجح المخرج في رسم صورة واقع شامل متّسع أصابه العطب وتفشى فيه الخراب ولا يتردّد في استخدام اللقطات العامة التي تظهر كل التفاصيل، فهو لا يخشى أن تعلق صورة مشرقة وسط الخراب لأن نسبة الخراب تكون هي الطاغية.

وأما عندما ينتقل مكانيا ممّا هو عام إلى ما هو شخصي، فإنه يبرع أيضا في كيفية إظهار البيئات الخاصة بالأفراد وقد تحوّلت إلى مجرّد أوكار للجريمة وتعاطي المخدّرات.. فإلى أين يسير كلّ هذا؟

تظهر السلطات ندا قويا ويتمّ التغلغل في قوات الشرطة وكيف أنها هي الأخرى قد ضربها الفساد، ومن ذلك حجز شقيقة شيلبي من أجل أن يبتزوها فتوافيهم بأخبار مافيات الجريمة، ثم إن المباحث الفيدرالية تشترط على شيلبي استمرارها في المهمة في مقابل إطلاق شقيقتها المراهقة وضمان عبورها الحدود باتجاه كندا، وهو ما يقع فعليا.

شخصية شيلبي تم بناؤها دراميا بعناية شديدة، فهي التي تساير صديقها الروسي لإيصال المعلومات إلى المباحث الفيدرالية ولضمان سلامة شقيقتها، وهي تعشق بريك وتفديه وتدافع عنه، وهي أشد صلابة وسط عالم يغرق في الجريمة. لكنّها أشد هشاشة وإنسانية ساعة أن تصل الأمور إلى حافة الموت.

اتبع المخرج أوليفيه ميغاتون أسلوبا سرديا مميزا وفّره له العدّ الزمني التنازلي لنفاد مدة انتهاء الجريمة، أو ما يعرف بأسبوع ما قبل تفعيل مبادرة السلام الأميركية التي يرعاها الرئيس الأميركي شخصيا، ويقول إنه مشارك فعلي فيها وساهر على تطبيقها في عموم الولايات المتحدة.

الفوضى تعمّ الشوارع المليئة بالمشردين والصعاليك، علاوة على القتل والتعدّي وتعرية الفتيات، هو كل ما يظهره الفيلم في جزئه الأخير، وهنا يقول تعليق عابر في الفيلم إن الحكومة الأميركية كان هدفها من كل هذا السيطرة على عقول الناس على اعتبارهم كانوا جميعا مجرد فئران تجارب.

> **انتقادات غريبة وجّهت لفيلم المخرج أوليفيه ميغاتون مع أنه لم يختلف كثيرا عن نمط أفلام الجريمة والعنف الأميركية**

ما بعد ذلك من تطوّرات في الدراما ما هي إلاّ سلسلة انتقامات دامية يكون قطبها الأساسي بريك الذي سوف يلقى حتفه بعد خوضه صراعات ومعارك ومغامرات، وصولا إلى عبوره الحدود بشاحنة ضخمة محمّلة بالدولارات التي تتطاير في الهواء في مشهد بليغ، ينتهي بقيام حبيبته شيلبي وهي في وسط طبيعة سلمية في كندا بذرّ رماده في إحدى البحيرات.

أسبوع من الخراب يضرب المدن الأميركية بأكملها

> **الفيلم يستعرض ما يمكن أن نتوقّعه من أفلام المافيا والجريمة والمخدرات والسرقة في خليط يقدّم صورة واقع أميركي هشّ للغاية**

الهولندي كيس فان دونغن من التوحشية إلى البورتريه

يعتبر الهولندي كيس فان دونغن من طليعة فناني أوائل القرن العشرين، ابتكر التوحّشية رفقة ماتيس وفلامينك، وكان له حضور بارز في صالونات باريس ومتاحفها. ولكنه أثار فضيحة أولى بعرض لوحة عري، ثم فضيحة ثانية حين قبل دعوة من النازيين لزيارة برلين.

أبوبكر العيادي
كاتب تونسي

باريس – ولد الفنان الهولندي كيس فان دونغن (1877 – 1968) في ضواحي مدينة روتردام من أسرة متواضعة. درس الفنون في الأكاديمية الملكية للفنون الجميلة بهذه المدينة، ومال عند التخرّج إلى رسم بورتريهات البحارة، وكذلك المومسات اللاتّي كان يتردّد عليهنّ في الحي الأحمر، لغايات فنية. استقر بباريس عام 1897، وما لبث أن اقترن بفتاة هولندية مهاجرة مثله، وبدأ يعمل كرسام في بعض الصحف حيث تعرّف على الناقد البارز فيليكس فينيون.

وما لبث أن بدأ يعرض أعماله في بعض الأروقة إلى أن ساهم في صالون الخريف بلوحة "قفص الوحوش" رفقة هنري ماتيس، وأندري دوران، وموريس دو فلامينك عام 1905. ولكن المعرض قوبل بانتقاد شديد قاده الناقد لويس فوكسيل، بسبب تلك الطريقة الغريبة وقتها في استعمال الألوان الفاقعة، إذ كان يستعمل الأصباغ الأساسية بفَرشها مباشرة على القماشة، ويؤثر الوجوه النسائية التي يعمل على جعلها نيّرة تبرز فيها عيون فحمية وشفاه بالغة الحمرة.

ثم كانت الفضيحة مع لوحة "الشال الإسباني" عام 1913، فقد سحبت من معرض الخريف بباريس منذ اليوم الثاني من عرضها، بأمر من رئيس مخفر الشرطة، بتهمة الاعتداء على الأخلاق الحميدة.

هذه اللوحة تمثل زوجته عارية إلاّ من حذاء أصفر بكعب عال، وجوارب صفراء طويلة حدّ الركبتين، وشال مزخرف بالأزهار ينحدر على كتفيها وهي تطعم الحمام بيدها اليمنى، بينما يبدو على يسارها شحّاذ مسنّ جاثيا على الأرض يجذب طرف الشال بيد ناحلة.

وليس العري وحده هو الذي أثار حفيظة الناس، بل اللون الأصفر الذي اقترن في الأذهان بمحظيات القصور منذ روما القديمة إلى القرن الثامن عشر، ثم صار في القرن التاسع عشر قرين البغاء، تستعمله المومسات في ظلام الشوارع المقفرة كي يستدل إليهنّ الزبائن، ثم اتخذ دلالة سلبية، حيث صار صنوا للخيانة والرذيلة.

وكان فان دونغن، بما عرف عنه من رغبة في الاستفزاز والإثارة، يتوسّل برموز الحقب القديمة، ويعيد إليها الحياة، ورغم أن اللون الأحمر حلّ محلّ اللون الأصفر منذ مطلع القرن العشرين، فإن هذا اللون لم يفقد رمزيته في الأذهان، وخاصة في الصور.

ومن الطبيعي أن يحتجّ فان دونغن على ما حدث، فقد نشرت صحيفة "كوميديا" تنديده بمصادرة الفن قائلا "ماذا يفعل رئيس المخفر في معرض فني؟ أليس حريّا به أن يراقب ما يجري في شارع الشنزيليزي؟ هناك سوف يجد ازدراء بالأخلاق الحميدة أكثر ممّا هو في لوحتي.. فليس في عملي ما يثير الاستنكار، فهو بسيط، توراتي المرجعية، ولم أكن أتصوّر أن يرتاب الناس حتى من نيّاتي. لقد رسمت امرأة عارية، دون أن أشوّهها أو أبتر أعضاءها، فهل هذه جريمة؟".

ورغم أن رفاقه من الفنانين تعاطفوا معه إلاّ أن ذلك لا يمنع من القول بأن فان دونغن كان يهوى مخالطة النساء لرسم بورتريهاتهنّ في هيئة عذارى بيزنطيات حديثات، حيث الوجوه مطلية بالمساحيق، والعيون محوقة بالأسود. وكان النقاد يعتبرون إسرافه في استعمال الألوان الفاقعة عيبا، فلما اندلعت الفضيحة، صار مطلوبا في الأوساط البورجوازية لرسم بورتريهات سيداتها، وأصبح من أشدّ منافسي الإيطالي جوفانّي بولدوني، ما قاده إلى التعرّف على الكونتيسة لويزة كازاتي التي كانت تموّل عددا من الفنانين في مطلع القرن العشرين.

في هذا الوسط، تعرّف على ليا جاكوب الشهيرة بـ"جاسمي" فترك زوجته واستقر مع عشيقته الجديدة في فندقها الخاص بغابة بولوني غرب باريس، ففتحت له أبواب الشهرة بتعريفه بشخصيات المجتمع الراقي، حيث صار قبلة ممثلات المسرح، ثم السينما، ولم يَخْبُ نجمه حتى بعد انفصاله عن جاسمي وانتقاله إلى بيت فاخر في الدائرة الثامنة عشرة بباريس، غير بعيد عن "باتو لافوار" (أي السفينة المغسل، وهو الاسم الذي أطلقه عليه ماكس جاكوب بسبب كمّ الغسيل المنشور في سطح البناية) حيث أقام أول قدومه إلى باريس بجانب عدد من الفنانين الطلائعيين أمثال بيكاسو، وموديلياني وأبولّينير. وكان ينظم في بيته سهرات باذخة يحضرها مشاهير الفنانين والفنانات.

ورغم قبوله دعوة من النحات والرسام الألماني أرنو بريكر لزيارة ألمانيا النازية خلال الحرب العالمية الثانية رفقة مجموعة من الفنانين الفرنسيين، وما قوبلت به من انتقادات شديدة بلغت حدّ التخوين، لم تسحب منه الجنسية الفرنسية التي حصل عليها عام 1927، وظل يقيم في فرنسا حتى وفاته بموناكو عام 1968.

ويعتبر كيس فان دونغن، مع فان غوخ، وموندريان، وأوتّو فان ريس، من الهولنديين الذين سجلوا حضورا لافتا في العاصمة الفرنسية، فقد استطاع أن يفرض أسلوبه الخاص، وصار استعماله للألوان وللخطوط التعبيرية علامته المميزة، وكان للرحلات التي قام بها أثرٌ في تميّزه عن رفاقه من الحركة التوحشية، التي غادرها ليتخصّص في فن البورتريه.

بورتريهات اللون الفاقع

الكمال عن طريق الرسم

فاروق يوسف
كاتب عراقي

يعرف الصينيون الرسام بأنه الشخص الذي يعرف متى يرفع ريشته عن اللوحة ويقول "انتهيت". قلة من الرسامين تدرك مدى دقة ذلك التعريف. وهي الأقلية السعيدة التي حظيت بنعمة الخيال الذي هو تاج الموهبة. كثيرون يمكن أن يستمروا في الرسم إلى ما لا نهاية فتفسد أعمالهم. قليلة هي اللوحات التي يقرّ المرء حين يراها بكمالها. وهو كمال يشبه المعجزة.

في الرسم شيء يشبه الحب. مراوغ، متعدّد الوجوه لا نشعر بعظمته إلاّ حين نفقده. ذلك ما يُسمّى بالكمال. شعور سابق يمرّ مثل ضربة ضوء تتغيّر بعدها طريقة النظر.

غالبا ما نرى رسوما ونشعر أن هنالك شيئا ما يمكن أن يُضاف إليها وهو بالضبط شعورنا حين نحب. حتى أمام لوحات فنان عظيم مثل بيكاسو يكون ذلك الشعور حاضرا. ربما لا يتعلق الأمر باللوحة في حد ذاتها بل بما نراه منها.

غير أننا نبحث عن تلك اليد التي تتوقّف عن الرسم حين تكتمل لحظة الخلق، فتكون أية إضافة بمثابة خرق لقوانين الطبيعة. يتأمل الرسام لوحته كما لو أنها ذلك الإلهام الذي صار عليه أن يغادر بعيدا ليختفي. ستكون أسطورة الرسام الخالق بعيدة المنال. لقد تحقّق شيء منها في عصر الباروك. يومها انتهى الرسم.

لقد صارت الفواكه التي تُرسم أكثر حياة من الفواكه التي لا تزال في أشجارها. لقد اكتسبت عنصر كمال أضفى عليها طابع الخلود.

كان الهولندي رامبرانت ذروة ذلك العصر الذي لن يتكرّر خياله. أمام لوحات رامبرانت يتخلّى الرسم عن غروره لينضم إلى حفلة الثناء على الخلق.

لقد وقفت عشرات المرات أمام لوحة صغيرة رسم فيها رامبرانت وجهه في شبابه وكنت في كل مرة أضيع. ذلك لأن جمالا خفيا يصدر عن اللحظة التي رفع الرسام فيها يده عن اللوحة كان يعصف بي ويدفعني إلى ما يشبه البكاء.

كان لديّ شعور بأني أشهد ولادة الكمال. تلك لحظة تتجدّد فيها آمال البشرية في حياة أفضل.

في لوحات رامبرانت يتخلّى الرسم عن غروره